

- ٢٥ -

موضوعها فحسب ، بل تصميمها في التجربة وتأزر صورها ، لتصوير هذه التجربة ، تصويراً حياً ، ويستلزم ذلك استنكار الوقوف عند مفهوم عمود الشعر القديم في الاكتفاء بالتحام أجزاء القصيدة ، كما يستلزم ذلك القضاء على الاعتداد بالبيت على أنه الوحدة في بناء القصيدة ، ومن شأن البناء الجديد أن تكون الصور فيه بمثابة موجات حية بتعمق المشاعر النفسية الموحدة ، لا أبياتاً متفرقة يلتحم بعضها ببعض ، ولا أغراضاً متنافرة يجمعها تداعي المعاني ، حتى لو كان صادقاً كما في الشعر الجاهلي ، فما بالنال إذا أصبح تقليداً عند من كانوا يتبعون البناء الجاهلي للقصيدة ، على حين هم في ملابسات للحياة مخالفة ، على سبيل التقليد :

وعلى هذا الأساس الصادق الوفي للقديم يقارن الأستاذ العقاد الشعر العربي القديم بالشعر الإنجليزي الرومانتيكي ( ساعات بين الكعب سنة ١٩٢٧ ) فيقول : « . . . إنك ترى الارتباط قليلاً بين معاني القصيدة العربية . . . ومن هنا كانت وحدة الشعر عندنا البيت ، وكانت وحدته عندهم القصيدة ، فالأبيات العربية طفرة بعد طفرة ، والأبيات الإنجليزية موجة تلخل في موجة ، لا تفصل من التيار المتسلسل الفياض » . وفي الفصول ( ١٩٢٢ ) يحدد العقاد تفكك القصيدة ، والتفكك « . أن تكون القصيدة مجموعاً مبدأً من أبيات متفرقة لا تؤلف بينها وحدة غير وحدة الوزن والقافية . . . ولتوفية البيان تقول : إن القصيدة ينبغي أن تكون عملاً تاماً يكمل فيها تصور خاطر ، أو خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه ، والصور بأجزائها ، واللحن الموسيقي بأنغامه ، بحيث إذا اختلف الوضع ، أو تغيرت النسبة ، أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها فالقصيدة الشعرية كالجسم الحى ، يقوم كل منها مقام جهاز من أجهزته ، ولا يغنى عنه غيره في موضعه إلا كما تغنى الأذن عن العين ، أو القدم عن الكف ، أو القلب عن المعدة . . . » وفي موضع آخر من نفس الكتاب يوضح العقاد الوحدة عنده ، وأنها تختلف عن المفهوم القديم في عمود الشعر ، قائلاً : « نبه من يستبهم عليه الأمر إلى أننا لا نريد تعقيباً كتعقيب الأقيسة المنطقية ، ولا تقسيماً كتقسيم المسائل الرياضية ، وإنما نريد أن يشع الخاطر في القصيدة ولا ينفرد كل بيت بخاطر » . ثم يؤكد